فوائد الموائد

لأبي الحسين جمال الدين الجزار

القسم الثاني

بتحقيق

الدكتور ابراهيم السامرائي

(وحكي أنّ العماد المحلي اشترى (١) مملوكاً تركياً ، فحضر اليه يومَ سبت بدمشق وقال : أريد أتفرجّ مع المماليك فاعطني شيئاً ، فاعطاه فلساً فرماه ، فغضب العماد وقال : (ويحكَ) (٢) ، ترمي الفلس وهو النقطة التي في وسط الدنيا ؟ فقال له المملوك : وكيف ذلك ؟ قال : لا ترى في يدك فلساً حتى تصرف درهماً ولا ترى في يدك درهماً حتى تصرف ديناراً . وهذا الفلس الذي رميته يقضي (٣) حاجة ساعة وحاجة أسبوع (٤) وحاجة شهر وحاجة سنة (٥) وحاجة دهر طويل (٦)(وكان المملوك واقفاً فجلس وقال : وكيف ذلك بالله أخبرني هذه الأعجوبة ؟ قال : نعم)(٧) ، أما حاجة ساعة فقطعة عقيد أو كوز فقاع، وأما حاجة يوم فوظيفة بقل (٨) أوزيت للسراج (٩) ، واما حاجة اسبوع فقطن للفتائل (١٠) واماحاجة شهر فكبريت (يوقد به) (١١) وأما حاجة سنة فملح(١٢) وأما حاجة الدهر فوتد (يدق في الحائط لتعلق عليه الثياب) (١٣) ، (فقال المملوك : والعجيب ياسيدي

(١) في «س» و «ن» : اشترى العماد المحلي . . . (٢) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .
(٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : يكفي . (٤) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : جمعه .
(٥) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : عام . (٦) كذا في في «م» أما في«س» و «ن» : حاجة الدهر .
(٧) زيادة في «م» وسقطت من «س» و «ن» . (٨) كذا في «س» و «ن» أما «م» فقطعة كسب تشبعك.
(٩) سقط من «م» . (١٠) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فقطن للسراج
(١١) سقطت من «س» و «ن». (١٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فحبل الناشوش تنشر عليه الثياب
(١٣) كذا في « س » و «ن» أما في «م» : فوتد تدقه في الخيط لتعليق القماش أوغيره

ماقلت . وهذا الفلس يدفع منكراً ونكيراً ، وبهذا الفلس تجوز على السراط ، وتنجو من النار ، فعلى من يقعد عندك لعنة الله ، ثم مضى الى النخاس فلم يزل عنده حتى باعه .

(وجاز بعض الفقراء على باب بعض البخلاء فوجده في دهليزه ، فقال : عسى كسرة خبز ، فقال له : أهل داري في الحمام ، فقال الفقير : انما طلبت شيئاً آكله لاشيئاً أنيكه .

وقيل لبعض البخلاء : هل قاسيت الطفيلية قط (كذا) ؟ فقال : في كل يوم ، قيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : لاأعرف الطفيلية الا الذُباب) . (١)

وركب بعض البرابر من مصر الى القاهرة دابة ، فقال له صاحبها : حرك رجليك ، فقال : لو أردت (أن) أحرك رجلي لمشيت ووفرت الفضّة ، والله لاتحركت حتى أنزل . وسمع بعض البخلاء رجلاً يشكو الى الطبيب سوء الهضم فقال التحدث بالنعم شكر .

وسمع بعض البخلاء قارئاً يقرأ : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » (٢) فقال هنّأهم الله .

(وقال) الشاعر : [من الوافر]

أبو نوح دَخلتُ عليه يوماً فغداني بأسماء (٣) الطعام
فجاء بقَصْعة لاشيءَ فيها مُغطّاة على طَبَق الكلام (٤)
فلما أنْ رفعتُ يدي سقاني كؤوساً للمُدام بلا مُدام (٥)
فكان كمن سقى الظمآن آلاً (٦) وكنت كمن تَغَدّى في المنام

وحكى ابن الحجاج الشاعر في أخباره قال : كنت عند بعض الرؤساء وعنده جماعة من الأعيان فدخل حاجبه فقال : ان فلاناً بالباب ، فاغتاظ منه وقال : تشاور على فلان وهو يجري مجرى أمثالك في داري ، ايذن له ، فدخل شابٌ (حسن الوجه) (٧) (حسن الهيأة) (٨) طيّب النشر فأجلسه وأكرمه فقال الشاب

(١) سقط من «م» . (٢) سورة النساء ٣٧ . (٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : برائحة .
(٤) كذا في «م» أما في «س» و «ن» .

فجاء بلحم لا شيءٌ سمين فاطعمني على طبق الكلام

(٥) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : . . . مداماً بعد ذاك بلا مدام
(٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : وكنت كمن رأى في النوم حلماً . . . . .
(٧) سقطت من «س» . (٨) سقطت من «م» .

ان لي حاجة الى الوزير ، فقال : تقضى بعد أن تجلس معنا الى أن يهيأ طعامنا فتأكل منه قال ابن الحجاج : وكنت أعرف شحته فأبطأ الطعام حتى فات وقت الغداءفا ستحكم جوع الشاب . فلما حضر الطعام تقدم فصار يخلط غضائر البوارد بعضها ببعض ، ويلحق صدور الدجاج بأعجازها ، وبطّ خواصر الجداء عن شحومها ، وصاحب الدار يتلوّن تلوّن الحرباء ، فلما حضَرت الحلوى أكل منها حتى كأن لم يأكل من غيرها ، فلما فرغ قال له : ياسيّدي وعدك في قضاء حاجتي ، فقال له وهو محرج : ان عقلك عقل الأمة الشوهاء ، ان الوزير لا يوافقني في أكثر الأوقات ، فخرج من عنده وهو لايقدر ان ينظر اليه . ثم أبطأنا بعده ساعة لانجسر (١) على الحديث معه ، فلما خرجنا قال الشاب : ما الذي جرى (بعد خروجي) (٢) ؟ فقلنا له : ما غررت إلا بنفسك ، وأنشدته مرتجلا :

[من المنسرح]

ويحك يا أشأم الورى نسمه عند نجاح أكلت أو سلَمَه
لما تَضُم يومك الطويل ولا تفطر حتى تصلي العتمه (٣)
قد كنت عبداً لهم فما برحت كفك تجني حتى مسخت أمه (٤)

فقال الشاب : ياسيدي من هو نجاح ؟ فقلت : نجاح وأبوه سَلَمة كانا من سادات الكرماء وكانت أرباب الحوائج يتوخون (كذا) (٥) لقضاء حوائجهم حين يرفع الحجاب ويحضر طعامها .

ولقد حكي ان فقيراً دخل على نجاح يوماً وهو على سماطه ، فرأى حالة الفقير وما عليه من الأطمار الزهكة ، فأدناه الى جانبه ففعل الفقير من النهم ما فعلته انت اليوم ، ونجاح يسر بذلك فلما فرغ وغسل يديه بحضرته ، قال له : سل حوائجك (٦) فقضاها ، فأنشد الفقير :

---

(١) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : لا يجسر منا احد على الحديث .
(٢) كذا في «م» وسقط من «س » و «ن» .
(٣) كذا هو الوجه الصحيح أما في الأصول الثلاثة : لم تصم يومك الطويل . . .وهذا التصويب شيء يقتضيه وزن المنسرح ليكون « مستفعلن » لا « فاعلن » .
(٤) كذا هو الوجه الصحيح أما في الأصول الثلاثة : « كفاك تجني حتى مسخت أمه » .
(٥) الصواب ان يقال : وكان أرباب الحوائج يتوخون .
(٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : سل حاجتك فذكرها .

[من المجتث]

يا من يـــروم نجـــاحاً بالسعي عنـــد نجـــاح
فأطَمْح لعينيك نحو الـ ـخوان أي طمـــاح
واجمَحْ بنفـــك نحو الطعـــــام أيَّ جمـــاح
وكـــل وأطعِمْ وذلـــل بـــوجـــه شيـــخ وقاح
وأسأل فـــانك تعطـــى ذخائـــــــر الارواح

يابني كان الذي فعلته اليوم يتقرب به عند مثل ذلك الكريم .

الباب السادس

في آداب الضَيف مع مضيِّفه

يقبح بالضيف أنْ يسأل مضيِّفه في شيْ من داره سوى القِبلة ووضع قضاء الحاجة ، ولا يُوصِّى على دابّته ولا على غلامه ، ولا يتطلّع الى ناحية الحرم ، ولا يخالفه اذا أجلسه في مكان يكرمه به ولا يمتنع من غسل يَدَيه ، ولا يكلفه حاجةً قبل غدائه ولا يرى مُضيِّفه قد تحرك بحركة فيمنعه منها .

أنشدنا صاحب لنا من شعر الشيخ أبي عبد الله ابن الكيزاني — رحمه الله تعالى — :

تَوَخَّ اذا نزلت على أناس نزولك مَنزِلَ الرجل الاقلِّ
فانْ رفَعوك فاتبَعْ ما أرادوا وانْ وضعوكَ قل : هذا مَحَلِّي

ورأيت في بعض المجاميع أنَّ بعض الكرماء كان عربيداً على أضيافه سيْ الأخلاق ، فبلغ ذلك بعض الأذكياء فقال : الذي يظهر لي من هذا الرجل أنّه كريم الأخلاق رحب الفناء كثير الأضياف ، وما أظنّ لسوء اخلاقه سبباً الا سوء أدب أضيافه ، ولا بد لي أن اتطفل عليه لأرى ما الموجب لما سمعته عنه ، قال : فتصدَّيتُه وسلّمت عليه ، فقال : هل لك في أن تكون ضيفي ؟ فقلت : ياسيدي من يأبى أكل طعامك ويمتنع عن دخول منزلك ؟ فسار بين يَدَيَّ الى أن جاء الى داره فأذن لي فدخلت ، فأجلسني في صدر مجلسه فجلست حيث أمرني ، فأعطاني مسنَداً فقال : استَنِد ، فاستَنَدْتُ ، وأخرج شِطْرَنجاً وقال : العب بنا الى أن يُهَيِّأ طعامنا ، ففعلت ، فلما تهيّأ الطعام جعلَ يُقدِّم لي ما استطابه ويُؤثرني بما يُعجبه وأنا لا أمتنع من شيْ يراه . فلما نِمنا قدَّمَ طستاً وإبريقاً ، واراد أن

يسكب الماء على يدي فلم استعفه من ذلك وأراد الخروج بين يَدَيَّ بعد أن قَدَّمَ لي نَعلي فلم أردّه عن غرضه من ذلك ، فلما هَمَّ بالرجوع قلت له ـ : ياسيدي أنشدك بالله فَرِّجْ عنّي كربةً ، فقال : وماهي ؟ قلت بَلَغَني من أمرك مع أضيافك مالا يخفى عنك فتبسم وقال : والله مايحُوجني لذلك الاّ سُوء أدبهم ياأخي يصلُ الضيف الى داري فأجلسه في صدر الدار إجلالاً له فيأبى ذلك ، ثم أقدّم الطعام فلا أناوله شيئاً مستطرَفاً الا وردّه عليَّ ، ثم يأتي وقت غسل الأيدي فأريد أن أصُبَّ (١) على يديه فيحلف بالطلاق لاتفعل ، ثم أشيّعه عند انصرافه فلا يُمكّنني من ذلك . فأقول في نفسي حتى ولايحكم الانسان في بيته! : فعند ذلك لا أُبقي ممكناً من شتمه ولعنته ، وأنشدني : [من السريع]

لا ينبغي للضيف أنْ كانَ ذا حَزْمٍ وتدبيرٍ وطبْعٍ لطيفْ
أن يَتَعدّى أبداً طوره ولا يرى إلاّ بحكم المضيف
فالأمر للانسان في بيته ان شاء ان يُنصفَ أو أن يحيف
وانما ينقُضُ أحكامه عليه ذو جَهل وعقل سخيف

(١) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : أقلب .

الباب السابع

ذمّ نَهَم الضيف

لايخلو إما أن يكون الضيف بدوّياً أو حضرّياً ، فإن كان بدويّاً فلا يُنْتَقَد عليه نَهَمه ، لانّ العرب يستحسنون ذلك من أنفسهم ومن أضيافهم . وان كان حضرياً فينبغي ان يتأدّبَ ويتلطّف ويملك نفسه في الأكل . والاطالة على الطعام خير من النَهَم والقذارة . ولابأس بالمحادثة على الطعام بما يُنهِض الشهوة ويطيّب النفس

ووصّى أعرابيّ ولده فقال : يابنيّ اذا أكلت فابرُك على ركبتيك ، وافتحْ فاكَ وأجحِظ عينَيك ، وافرُجْ أصابعك وكبّر لُقَمَكَ ، واحتسب نفسك في حبّ الله تعالى . فهذه الوصية وانْ دلّت على كَرَمٍ ففيها من الشَرَة (١) ما فيها ، قال الشاعر : [من الخفيف]

تلك في فيه وهو يرنو الى أخـــ ـرى وأخرى في كفّه مأسورُه

وقال الغزالي رحمة الله عليه — ان زلة الصوفي (في دخوله وأكله من طعام الوليمة بعد إذن صاحبها حرام) (٢) ، الا ان يكون صاحب الدار راضياً بها .

ورأيت (في النهمين) (٣) من يحضر السماط ومعه خريطة مشمّعة يقلب فيها الزبادي والأمراق ، وهذا كله ماعليه مزيد . ومنهم من يستصحب معه (حرماً مثل المراكب (٤) ولا بد من صغير يحمل فيه) (٥) ما يأخذه ، ومنهم من يرتب ولده (٦) يبكي عند الانصراف من الدعاوي على الطعام والحلوى (فيُعطى) (٧)

---

(١) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : سوء الأدب .

(٢) سقط في «س» و «ن» ووجد في «م» .

(٣) سقط من «م» ووجد في «س» و «ن» .

(٤) كذا في «س» و «ن» وهو غير واضح ولا يوجد في «م» .

(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : (. . . صعب الحمل معه ما يقدر على أخذه من زبادي الوليمة عند انصرا ف الناس) .

(٦) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : ولدانه .

(٧) زيادة في «م» وسقطت من «س» و «ن» .

الباب الثامن

في ذكر ما يُستَقبَحُ من أفعال الضيف

لاخلاف عند الكرماء ان المضيف خادم لضيفه ، الاّ أنّه لا يليق بالضيف ان يعتقد أنّ مُضيفه مملوك له ، ولا أنّ داره إرث له من أبيه فتراه يتصفعن (١) ويأمر وينْهى ويقترح ويستدعي فيكون ذلك سبباً لقبض النفوس عنه ، ولا يحسن به أنْ ينظرْ الى أحد من جواريه ولا من أهل بيته .

كما حُكِيَ عن بعض الاعراب أنه وَجَدَ إنساناً في البَرِّيّة ، وهو في شدة (من التعب والجوع والعطش والخوف) (٢) وكان قد تاه عن الركب ، فسقاه (حتى أنعشه) (٣) وحَمَلَه وضمن له أن يلحق به الركب بعد أن يستريح عنده ثلاثة أيام ، ووعده أن يعوضه عن راحلته إن كانت قد عدمت ، وناهيك (بهذا الاصطناع) (٤) . فلما صار (٥) الرجل الى بيت الأعرابي وشَبِع وأنِسَتْ نفسه بالطُمأنينة والأمن وخلا بنفسه في بيت الرجل ، راود زوجته عن نفسها ، فأغضت عنه ، ولما جاء زوجها قصَّتْ عليه القُصَّة ، فلم يعاتبه في ذلك ، ثم إنّه حَمَله على بعير حتى أوصله الى أصحابه ، فقال الرجل (عند فراقه) (٦) : أريد أنْ تشرِّفني بحاجة فقال له : لا أكلِّفك شيئاً الاّ انك اذا اجتمعت بأهلك تعرِّفهم ما أردناه لك وما أردته لنا (٧) .

---

(١) لعلها من الالفاظ المولدة في عصر المصنف .
(٢) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : من العطش والنصب والخوف .
(٣) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .
(٤) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : بهذه الطباع .
(٥) كذا في «س» أما في «م» و «ن» : سار .
(٦) كذا في «م» وسقط من «س» و «ن» .
(٧) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : بنا .

قال بعض الظرفاء : أعرف في المؤاكلة خمسة وعشرين ، فقيل : وما هي ؟ فقال : المتشاوف ، والعدّاد ، والزحّاف ، والجرّاف ، والرشّاف ، والنفّاض ، والعوّام ، والقشّام ، والمخلّل ، والمزلّل ، والمرنّخ ، والموسّخ والمرشّش ، والمفتّش ، والمنشّف ، والملبّب ، والصبّاغ ، والنفّاخ ، والحامي والمجنّح والمغثّي والشطرنجّي .

فسُئِل عن شرحها فقال : المتشاوف الذي يستحكم جوعه قبل انتجاز (١) الطعام ، فلا تراه إلاّ مُتطلّعا (٢) الى ناحية الباب ، يظنّ كل من دَخَلَ قد أحضَرَ شيئاً للأكل . والعدّاد هو الذي يستغرق مع نفسه عند رؤية الزَبادي فتراه يعدّها (٣) على أصابعه ، ويشير اليها وهي على السِماط وهو لايشعر بنفسه . والزحّاف هو الذي يسبق الاذن فلا يُدْرَى به الا وهو على المائدة وحده لايمكنه الرجوع ، فيَضحَكك منه مَن حَضَرَ ويخجَل هو من تسرُّعه . والجرّاف هو الذي يجعل اللقمة في جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الآخر . والرشّاف وهو الذي يجعل اللقمة في فيه (ويترشّفها فيُسمَع لها ساعة البلع حِسّ لايكاد يخفَى على أحد من جلسائه وهو بالتذاذه مشغول (٤) (عمّن ينتقد عليه ذلك) والنفّاض هو الذي يمضَغُ اللقمة في فيه وينفُض اصابعه في الزبدية . والقرّاض هو الذي (يقرض اللقمة بأطراف أسنانه) (٦) حتى يهتدمها (٥) ويضعها في الطعام بعد ذلك . والبهّات : هو الذي يبَهتُ في وجه مؤاكليه حتى يشغلهم (٧) ويأخذ

---

(١) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : استنجاز . والانتجاز .
(٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : متشوقاً .
(٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : يعد الزبادي .
(٤) سقط من «س»
(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : يقرض أطراف اللقمة بأسنانه .
(٦) كذا في «س» أما في «م» و «ن» : يهندمها .
(٧) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : يميناً ويساراً . وقد أفادني الزميل الكريم الاستاذ الدكتور شكري فيصل أنها في « آداب المؤاكلة للغزي » ص ٣٠ : من يبهتهم .

اللحم من بين ايديهم . واللتّات هو الذي يلُتُّ اللقمة بأصابعه قبل وضعها في الطعام . والعدّام هو الذي يُمدّ ذراعيه ميَمنة ومَيْسَرة (١) لأخذ الزبادي . والقسّام هو الذي يأكل نصف اللقمة ويُعيد باقيها (من فيه)(٢) فيضعها في الطعام . والمتخلّل هو الذي يتخلّل بأظفاره . والمزَلّل هو الذي يحمل معه الطعام . والمرنخ هو الذي يرنّح اللقمة في الأمراق ، ولا يبلع الأولى حتى تلين الثانية . والموسّخ من كان الى جانبه ويوسّخ الخبز الذي (بين يَدَيه) (٣) . والمرشّش الذي يفسّخ الدجاج بغير خبرة فيرُشّ على مؤاكليه . والمفتش هو الذي يفتّش على اللحم بأصابعه . والمنشّف هو الذي ينشّف شواربه من الوَدَك باللُّقَم ثم يأكلها بعد ذلك . والمُلبِّب هو الذي يملأ الطعام نباباً . والصّباغ هو الذي يصبغ الطعام بأمخاخ البيض حين يثرُدها في الزُبدّية . والنفّاخ هو الذي ينفُخ على طعامه .والحامي هو الذي يجعل الطعام بين يَدَيه ويحميه عن غيره . والمجنّح هو الذي يزحَم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسَح لنفسه (ولا يتعذّر عليه أكله) (٤) والمُغثي (٥) هو الذي يُجري الأحاديث المستقذرة (٦) على الطعام . والشطرنجيّ هو الذي يرفعُ زُبديّة ويضَع أخرى .

قيل : وربما قال قائل : ما انتقد هذه العيوب على الناس وأوردها إلاّ بخيل فأكون قد عوقبتُ (بخلاً) (٧) كما قيل: لاترُدّ على ذي خطأ خَطَأه فيستفيد منك علماً ويتخذك عدوّاً ، ولا خلاف في أنّ مقاساة (الحروب) (٨) (ومكابدة الشُجعان) (٩) أسهل من الحضور على السماط . (وقد رأينا الفارس الجيد يلقى أقرانه وهو لبق الحركات حَسَن الشمائل) (١٠) .

---

(١) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : يمينا ويساراً .
(٢) سقطت من «م» .
(٣) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : أيضاً .
(٤) سقطت من «م» .
(٥) كذا في «ن» أما في «م» : المغني وفي «س» : المفتى ، ولعل أقربها الى الصواب ما اثبتناه .
(٦) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : القذرة .
(٧) كذا في «م» وسقطت من «س» و «ن» .
(٨) كذا في «م» اما في «س» و «ن» : الحرب .
(٩) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : ومحاربة الابطال والشجعان .
(١٠) سقط من «م» .

(والأولى) ان يأكل الانسان مما يليه بلطف ولا يظهر منه شيءٌ من هذه القبائح(١) ومن الأضيا ف من لايسهل عليه خدمته (٢) الاّ اذا أخذ الماء للغسل فيترك الغلام واقفاً وباقي الجماعة ينتظرونه ، وهو يُطيل ويُطنب . ومنهم يكوكب في الطّست فيترك ما يرميه عائماً على الماء . ومنهم من يغسل يده بالاشنان (٣) مرة واحدة ، فاذا اجتمع الذفر الجديد والوسَخ القديم (تسوك بهما معاً) (٤) . ومنهم من يشرب فضلة الغسل من (فيه) (٥) .

---

(١) كذا في «م» أما في «ن» : فمن طريق الأولى ان يأكل الانسان ولا ان تبدو منه هذه القبائح .
وفي «س» : . . . القبائح .

(٢) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : حديثه .

(٣) في الأصول الثلاثة : الاثنان ، والصواب ما اثبتناه .

(٤) كذا في «م» و «ن» أما في «س» : يتسوكهما معاً .

(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : فمه .

الباب التاسع

في أوصاف الطفيلية ونوادرها

سمع بعض الطفيلية قارئاً يقرأ : « ومنهم من يمشي على بطنه » (١) فقال : الحمد لله الذي احتفل بنا وذكرنا في كتابه العزيز .

وقيل لبعض الطفيلية : أيّ سورة تعجبك في القرآن ؟ فقال : « المائدة » قيل فأيُّ آية ؟ فقال : « ذَرْهم يأكلوا » (٢) ، قيل : ثم ماذا ، فقال : « آتِنا غَداءنا » (٣) قيل : ثم ماذا ؟ فقال : « أدخلوها بسلام آمنين » (٤) ، قيل : ثم ماذا ؟ فقال : « وماهم بمخرَجين » (٥) .

وقال ابن الرومي : (٦) [من المتقارب]

يُخالف إخوانه في الطريـ ... ـق الى أنْ تضُمّهم المائدة
فبَيْنا كذاك اذا هُمْ به ... مع القوم كالحيّة الراقدة
يلين الطعام على ضِرسه ... ولو كان من صخرة جامدة
ويأكلُ زادَ الورى كُلهّم ... ولكنها أكلة واحدة
(فلو عاينته جحيم الاله ... لخرّت لمعدته ساجدة) (٧)

---

(١) سورة النور ٤٥ .
(٢) سورة الحجر ٣
(٣) سورة الكهف ٦٢ .
(٤) سورة الحجر ٤٦ .
(٥) سورة الحجر ٤٨
(٦) لم أجد الابيات فيجميع ماطبع من شعر ابن الرومي كما لاتوجد في ديوانه في طبعته الاخيرة بتحقيق الدكتور حسين نصار .
(٧) البيت في «س» و «ن» وسقط في «م» .

وقال الآخر (١) : [من السريع]

لو طُبِخَت قِـدرٌ بمطمورةٍ أقصى بلاد الـروم أو بالثغـور
وأنت في مصر (٢) لوافَيْتَها ياعالم الغيب بمـا في القُـدور

والتطفل أقسام ؛ فأشدُّها المصادمة والمهاجمة والقحة ، واسهلها التعريض (٣) لصاحب الدعوة وابتداؤه بالسلام والشكر بين أصحابه والعَتْب عليه كونه لم يَدْعُه ومن الطفيلية من يزور (٤) على صاحب الدعوة أنّ أحداً من أهله دعاه . ومنهم من يحجبُ الرؤساء عند دخولهم فيتوهم صاحب الدعوة أنه مع ذلك الرئيس ، والرئيس يتوهّم أنّه من أصحاب صاحب الدعوة .

وسمعت عن شرف الدين أبي المحاسن بن عنين (٥) الشاعر حكاية أثبتَ بها ان الشعراء بأسرهم طُفيلية .وهو أنّه قال : ما بَرِح كل ملك (وكل أمير ووزير)(٦) يقول لحاجبه : (أطلب لي منجماً اومغنياً أوطبيباً) (٧) (ولايقول شاعراً) (٨) وما رأيت طائفةً تأتي بغير (دعوة) (٩) إلا هذه الطائفة ، هذا مع ميل للنفوس الى الشعر ومحبّتها في المدح بخلاف الطبّ والنجامّة في غالب العُرف ؛ ولا أعتقد العلّة في ذلك إلاّ أنّ الشاعر انما يُردُّ طالباً للمال او العَرَض وكلاهما عزيز . وليس الطبيب كذلك ولا المغني ولا المنجّم فانهّم ان أُنعم عليهم شكروا ، وان تركوا سكتوا . ولقد انحسر الشعر وأهله الى أن صار الشاعر يصانع بالشكر الباطل

---

(١) من هنا خلت مخطوطة «ن» من النص الى نهاية الباب التاسع وشيٌ من الباب العاشر الى قوله : « اين كنت البارحة » .
(٢) كذا في «س» أما في «م» : الصين .
(٣) كذا في «م» أما في «س» : التقوقص . (٤) كذا في «س» أما في «م» : يزوح
(٥) هو محمد بن نصر الله ، ابو المحاسن ، شرف الدين الحوارني الدمشقي الانصاري الشاعر المتوفى سنة ٦٣٠هـ . انظر ابن خلكان ٢/٢٥ عن الاعلام للزركلي .
(٦) كذا في «م» وسقط من «س» .
(٧) كذا في «م» أما في س : طلبت لنا مغنياً أو طلبت لنا منجماً او طلبت لنا طبيباً .
(٨) سقط من «س» . (٩) كذا في «س» أما في «م» : دعوى .

خوفاً من أكثر الناس (واتقاءً لهم وخوفاً من شرهم) (١) . ولقد قلت في ذلك :

[من السريع]

كذَبتُ في نظم مديحي لكم والكذب لا يُنْكَـــر من شاعر
واحتجت أنْ أذكركم خِفيةً بالخير للـــوارد والصـــــادر
فأنتُـــمُ ألجـــأتمـــوني إلى كِذْبيَ في الاول والآخر (٢)

وقيل : عَبَرَ بعض الطفيلية على قوم يأكلون ، فقال : السلام عليكم معشر (٣) القوم اللئام ، فقالوا : لا والله ، (٤) بل الكرام . فقال : اللهم اجعَلْني كاذباً واجعلهم صادقين وقعد (٥) يأكل .

وعبر طفيليّ على قوم وهم يأكلون ، فقال : هل تحتاجون الى مساعدة ، (فقالوا له الدعاء (فقال : كلوا) (٦) لاهنّاكم الله .

---

(١) كذا في «م» أما في «س» : واكتفاء لشرهم (٢) كذا البيت في «م» أما في «س» :
. . . كـــــــذبي في اول الأمـــر وفي الآخـــــر
(٣) كذا في «م» أما في «س» : من .
(٤) كذا في «م» أما في «س» : إلا . (٥) كذا في «س» أما في «م» : وجلس .
(٦) سقط من «س» .

الباب العاشر

في ذكر فضول الضيف

من الضيوف من يدخل فيبتدئ بالهندسة ، فيقول : كان المجلس يصلح بانه (١) يكون من هنا ، والايوان كان يريد ان يكون مقابلاً لهذا الباب . وهذه الخزانة ما كانت تليق ان تكون هاهنا . وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس ، فينقل الفاكهة من مكانها الى غيره ، وان كان ما استحكم جوعه استغنى من الطعام وذهل عن ضرورة غيره (٢) من الأضياف وجوعهم .

(ومنهم من يُنذر صاحب الدعوة حتى يخجله بين الناس) (٣) . ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم .

ولقد بلغني عن مُغن غير مجيد أنه كان لايبطل ليله قط ، لانه كان متى سئل : اين كنت (٤) البارحة ، قال : عند الناس . واذا قيل له : أين شربت ؟ قال : في فمي .ومنهم من يترك صاحب الدار قد أشار الى غلامه (سراً) (٥) بشراء (٦) شيءٍ (للأكل) (٨) ، فيقول : يامولاي والله ماتشتري شيئاً فأذوقه . فليت شعري اذا كان لايأكل لايّ شيءٍ حَضَر ؟

ومنهم من يرى صاحب الدار قد أسرَّ الى صديق له بسرٍ ، فيقول : ماالذي قاله المولى لصاحبنا فلان ؟ وهو لو أراد ان يُعلمه به لم يختص ذلك به دون .

---

(١) كذا في «م» أما في «س» : بأنه .
(٢) كذا في «م» أما في «س» : بقية .
(٣) سقط من «س» ووجد في «م» .
(٤) الى هنا ينتهي الساقط من «ن» .
(٥) كذا في «س» و «ن» وقد سقط من «م» .
(٦) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : ان يشتري .
(٧) كذا في «م» وسقط في «س» و «ن» .

ومنهم من يستعجل صاحب الدعوة بالأكل ويشكو الجوع ، ويظنّ ذلك بسطاً ومكارم أخلاق ، ومكارم الأخلاق مستحسنة من الرجل في بيته لا في بيوت الناس .

ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من مُغنّينا ؟ فيقول : فلان ، فيقول : غلط المولى ، كان فلان خيراً منه .

ومنهم من يدخل الدار وهو أجنبيٌّ فيقول : كيف اهلك ؟ وهذا في غاية القبح وسوء الأدب .

ومنهم من يسأل : كيف قوتك في النكاح ؟ فيحمل مضيفه الحياء الى ان يجيبه فيقول : نقصت شهوتي ، قلّت في هذا الأمر رغبتي ، فيقول : (ليتني أنا كذلك) (١) فاني كلّما مرّ عام يزيد شبقي (ويكبر لهذا الفن تشوّقي وتحرُّقي) (٢) ، ويعلن في هذا القول (حتى يسمعُه) (٣) لأهل بيت الرجل ، فانظر الى هذه الخيانة ماأدقها .

ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقاته عليهن (٤) وكسوته لهن (٥) ، وما زوجته عليه من القبح وسوء الأخلاق ويصف كسلها (ليستقلّ صاحبة البيت ماهي فيه) (٦) ، وربما كان ذلك سبباً لفراقها منه .

ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته (٧) ، فاذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرّك رأسه لتقع عمامته فيظهر فرقه وتبدو مسايحه ، ويقوم قائماً فيتمايل حتى يُرى أهل البيت أنه ظريف الشكل بديع الحركات وتوهمه نفسه أنه يُعشق (وان رسل صاحبة البيت لاتنقطع عنه) (٨) ، وهذه نهاية الفضول والطمع وسوء الأدب وقلّة المروءة .

---

(١) كذا في «م» أما في «س» : كنت كذلك واما في «ن» : ليتني كمثلك .
(٢) كذا في «ن» أما في «س» : وتكبر لهذا الفن شهوتي وتحرقي ، واما في «م» : ويكثر لهذا الفن تشوقي وتحرقي .
(٣) كذا في «م» و «ن» أما في «س» : يغني به .
(٤) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : عليهم . (٥) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : لديهن .
(٦) كذا في الأصول الثلاثة وهو غير واضح .
(٧) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : ريحه .
(٨) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : وان صاحبة البيت لا تبطئ رسلها عنه .

ومنهم من يجري ذكر العقائد فيقول : أابو بكر الصديق – رضي الله عنه – أفضل من الأمام علي – رضي الله عنه أم الامام علي بن ابي طالب – رضي الله منه – أفضل من الأمام ابي بكر الصديق . وهذا فضول لا ينتج الا الخصام والعربدة .

ومنهم من يقال له : العَبْ بالشطرنج فيأتي ثم (يقعد يدبدب) (١) ، حتى يقع في الفضول المحض .

ومنهم من يأمر وينهى على غلمان صاحب الدار ويهين أولاده . ويظهر ذلك ادلال عليه وتأديب لمن عنده .

ومنهم من يقول : حان وقت الصلاة فيتهيأ لها ، (ويكون لصاحب الدار اشتغال بأضيافه) (٢) وما خرج وقت الصلاة ، وهو يلحّ ويغتاظ جهلاً منه وفضولا .

ومنهم من يقال له : كلْ ، فيقول : والله ماآكل أنا ولا رفيقي .

ومنهم من يسمع السائل على الباب فيَصَدَّق بغير إذن صاحب الوليمة .

ومنهم من يدعو الناس الى صاحب الوليمة . بغير إذنه ويقلده المنّة .

ومنهم من يكون خارج الطبع فاذا حضر السماع جعل (يضرب بأصابع رجليه) (٣) ويصفق بيديه ، ولا يبقى من لا يتحقق خروج طبعه ، واولا فضوله لم تُعلم منه هذه النقائص .

وفضول هؤلاء أكثر من أن يحصى ، (وسوء أدبهم أعظم من أنْ يُستقصى) (٤) والله سبحانه المسؤول أن لايجعلنا ممن اغترَّ بعقله واستضاء (٥) برأيه ، وأن يجعل تأديبنا بالله وخوفنا منه (ولقاءنا اليه) (٦) انه قريب مجيب .

---

(١) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : ويشتغل في الدبدبة .

(٢) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : ويكون صاحب الدار مشتغلا بتجهيز أحوال أضيافه .

(٣) كذا في «م» أما في «س» و «ن» : يضرب برجليه .

(٤) كذا في «س» و «ن» : ونوادرهم أكثر من ان تستقصى .

(٥) كذا في «س» و «ن» أما في «م» : واستضيْ .

(٦) زيادة من «م» .

مصادر التحقيق

١ ــ ابيات الاستشهاد لأحمد بن فارس في سلسلة نوادر المخطوطات (المجموعة الثانية) القاهرة ١٩٥١

٢ ــ الاعلام للزركلي الطبعة الثانية طبع مصر

٣ ــ البداية والنهاية لابن كثير طبع مصر ١٣٥١ــ١٣٥٨ هـ

٤ ــ البيان والتبيين للجاحظ طبع مصر ١٣٦٧ــ١٩٤٨

٥ ــ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبع مصر ١٣٤٩ هـ

٦ ــ التصحيف والتحريف للعسكري طبع مصر ١٣٨٣ــ١٩٦٣

٧ ــ الحيوان للجاحظ طبع القاهرة ١٣٦٤ــ١٩٤٥

٨ ــ ديوان ابن الرومي بتحقيق د. حسين نصار (الجزء الثاني) القاهرة ١٩٧٤

٩ ــ ديوان ابي تمام طبع بيروت ١٨٨٧ وطبع دار المعارف في القاهرة .

١٠ ــ ديوان عروة بن الورد (من مجموعة خمسة دواوين) ، الوهبية ١٢٩٣ هـ

١١ ــ السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ، (الجزء الاول في ثلاثة اقسام) القاهرة ١٩٣٤ــ١٩٣٩ ،

١٢ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي طبع مصر ١٣٥٠ــ ١٩٣١

١٣ ــ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي طبع مصر ١٣٧١ــ١٣٧٣ هـ .

١٤ ــ شرح ديوان عنترة بتحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي طبع القاهرة بلا تاريخ .

١٥ ــ الغدير للأميني طبع بيروت ١٩٦٧ .

١٦ ــ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي طبع مصر ١٢٩٩ هـ

١٧ – الكامل لابن الأثير طبع مصر ١٣٠٣ هـ .
١٨ – كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي طبع بيروت ١٩٦٤ .
١٩ – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة طبع استنبول ١٣٦٠–١٩٤١ .
٢٠ – أسان العرب لابن منظور طبع بيروت ١٣٧٥–١٩٥٦ .
٢١ – محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني طبع بيروت ١٩٦١ .
٢٢ – المغرب في حلي المغرب لابن سعيد (القسم الخاص بمصر) طبع مصر ١٩٥٣–١٩٥٥ .
٢٣ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة طبع دار الكتب المصرية ١٣٤٨–١٣٧٥ هـ .
٢٤ – وفيات الاعيان لابن خلكان طبع مصر ١٣١٠ هـ .